بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي

المؤتمر العام الخامس عشر لأكاديمية آل البيت الملكية

١٨ـ٢٠ شوال ١٤٣١هـ الموافق ٢٧ـ٢٩ أيلول/سبتمبر ٢٠١٠م

البيئة في الإسلام

الحفاظ على البيئة في الخطاب الإسلامي

الشيخ أحمد بن سعود السيابي

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي

عمّان- المملكة الأردنيّة الهاشميّة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه، أمّا بعد:

فإنّ البيئة هي المرجع والمأوى والوسط الذي يعيش فيه الإنسان مع الكائنات الأخرى. ولا ريب أنّ قضيّة البيئة أصبحت من قضايا السّاعة، نظراً لما تواجهه بيئتنا من تحدّيات كثيرة وخطيرة تستدعي الاهتمام ووضع الحلول المعالجة والمناسبة.

لذلك كان الخطاب الإسلامي سبّاقاً في الحفاظ عليها من الفساد والتّلوّث، باعتبار ذلك من مقاصده التي على أولياء الأمور القيام بها تطبيقاً وتنفيذاً.

وشيء جميل أن نرى المجتمع الدّولي وإن كان متأخّراً يولي هذا الأمر اهتمامه الكبير المتمثّل في تكوين وإنشاء العديد من المراكز والأطر الإداريّة والفنيّة التي قامت بصياغة العديد من الاتّفاقيات الدّوليّة التي أصبحت تأخذ بها دول وأطراف عديدة، كما صاحب تلك الاتّفاقيّات عقد عدد من المؤتمرات التي ناقشت ضرورة الحفاظ على البيئة من التّلوّث بجميع أنواعه محذّراً من استنفاد المواد الحامية لطبقة الأوزون.

وحسناً فعلت مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، بالمملكة الأردنيّة الهاشميّة؛ بأن جعلت مؤتمرها الخامس عشر بعنوان: "البيئة في الإسلام". لمناقشة أسباب التّدهور البيئي ووضع الحلول المناسبة لعلاج المشكلة، وذلك ولا شكّ باستحضار الرّؤية الإسلاميّة: الأسباب والحلول.

وقد أدليتُ بدلوي في هذا المضمار، بهذا البحث الذي جعلت عنوانه "الحفاظ على البيئة في الخطاب الإسلامي"، وقسّمته إلى العناوين التّالية:

الأوّل: التّعريف والمفهوم الاصطلاحي، وقد تناولت فيه التّعريف اللّغويّ والتّعريف العلمي والتّعريف القانوني للبيئة.

الثّاني: تعريف الخطاب الإسلامي، وقد اجتهدتُ أن أوجد تعريفاً للخطاب الإسلامي الذي هو مصطلح معاصر، ولم يوضع له تعريف محدّد، وقد اتّضح لي أنّه لا يفترق عن مفهوم خطاب الشّارع المتعلّق بأفعال العباد المكلّفين إيجاباً واختياراً ووضعاً، وهو اجتهاد منّي لعلي أكون قد وفّقت فيه.

الثّالث: حماية البيئة من التّلوّث، وقد أوردت فيه النّصوص الدّينيّة والقانونيّة، وحلّلتها تحليلاً يوضّح عناية الإسلام بالبيئة ومكافحة التّلوّث، وعناية التّشريعات القانونيّة بذلك مقتصراً على قانون حماية البيئة ومكافحة التّلوّث العماني.

الرّابع: الحفاظ على العناصر الرئيسة للبيئة وهي أربعة:

الماء، و الهواء، والتّربة، والغذاء، على اعتبار أنّ هذه العناصر الأربعة هي المكوّنات الرّئيسة للبيئة الجغرافيّة التي يعيش فيها الإنسان وكائنات أخرى حيّة وجامدة.

وأرجو أنني وفّقت أو اقتربت من التّوفيق بإذن الله ومشيئته من التّعرّف على البيئة ومشكلاتها وأسبابها وحلولها، من المنظور الذي جاء به الخطاب الإسلامي قرآناً وسنّةً وفقهاً وقانوناً.

والله وليّ التّوفيق، وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين.

التّعريف والمفهوم الاصطلاحي

يتصدّر هذا البحث تعريفان:

الأوّل: تعريف البيئة.

البيئة لغةً:

عرّفها الخليل بن أحمد بقوله: "الباءة والباءة منـزل القوم حين يتبوؤن في قبل واد أو سند جبل، ويُقال بل هو كل منـزل ينـزله القوم يُقال تبوءوا منـزلاً.

قال طرفة:

طيبــوا البـــــاءة ســـــهل ولهــم   سبــل إن شئـــت في وعــث وعــر

وقال أيضاً:

وبوئـــت فـــي صميـم معشــرها   فتــم فـــي قومهـــا مبـــــوأها

والمباءة معطن الإبل، حيث تناخ في الموارد ويُقال أبأنا الإبل إباءة أي أنخنا بعضها إلى بعض، قال:

حليـــفان بينـــهما مئـــــرة   يبيئـــآن في عطـــن ضيــــــق

ويروى يبؤان أي ينـزلان.

وقال: لهم منزل رحب المباءة آهل"(1).

وقال الفيروزآبادي: "باء رجع وانقطع، وبوئت به إليه وأبأته وبؤته، وبوأه منـزلاً وفيه أنزله، والاسم البيئة بالكسر والمباءة المنـزل"(2).

وقبل ذلك وفوقه قول الله Y: [وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ] [يونس: 93] أي أنزلناهم.

وقوله عزّ من قائل: [وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ] [الحج: 26] أي مباءة يرجع إليه للعبادة والعمارة.

---

(1) العين، مادة بوأ.

(2) القاموس المحيط، مادة، بوأ.

وقوله: [وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ] [الحشر: 9].
قال الإمام محمد بن يوسف اطفيش: "أي سكنوها وهي المدينة وهم الأنصار، والتبوؤ النّزول والسّكنى في منزل، كأنه قيل والمعروفين المشهورين بمنزلهم حتى إنّه لا يستحقّ اسم الدّار إلّا منزلهم وهي التي أعدّ الله تعالى لهم ويمدحهم بها لنفع المؤمنين بها، وقد قيل إنّ تبوّأوا بمعنى هيّأوا للإسلام وأهله منزلاً"[1].

البيئة اصطلاحاً:

هي مجموعة من النّظم الطّبيعيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة التي يعيش فيها الإنسان والكائنات الأخرى، وهي الإطار الّذي يمارس فيه الإنسان حياته وهي مجموعة من الظّروف والأحوال والمواد والأحياء التي تؤثّر على الإنسان ويتفاعل معها كما يتأثّر بها نشاطه الفسيولوجي مثل الهواء الّذي يدخل في جسمه ويخرج منه أثناء الشّهيق والزّفير إن كان نقيّاً صلحت به صحّته، وإن كان فاسداً ملوّثاً اعتلت به مثل الماء الذي يشربه ويعيش به[2].

ولعلّ تعريف مؤتمر البيئة البشريّة الذي عقد في ستوكهولم سنة 1972م أصبح هو التّعريف الأكثر شيوعاً والأكثر استعمالاً، ذلكم التّعريف القائل: "كل شيء يحيط بالإنسان"[3].

من ذلك يتّضح أنّ التّعريف العلمي الاصطلاحي للبيئة أنّها الوسط الذي يعيش فيه الإنسان، متفاعلاً مع غيره من الكائنات الحيّة والجامدة مؤثّراً ومتأثّراً.

ويرجع الدّكتور عبد المجيد النّجّار هذا المفهوم الاصطلاحي إلى العالم الفرنسي سانت هيلر في القرن التّاسع عشر الميلادي الذي دلّ به على المحيط

---

(1) تيسير التّفسير، ج 14 ص 466.
(2) محمود محمّد حبيب ومحروس عبد المجيد الشّرقاوي، الإسلام والحفاظ على البيئة، ص 28.
(3) عبدالمجيد النّجّار، قضايا البيئة من منظور إسلامي، ص19.

الذي تعيش به الكائنات الحيّة، ومن ثمّ أصبح هذا المصطلح في اللّغة الأجنبيّة يعني مجموعة الظّروف والمؤثّرات الخارجيّة التي لها تأثير في حياة الكائنات بما فيها الإنسان[1].

ويورد الدكتور محمد النجيمي تعريفاً وصفه بالإجرائي قائلاً: يمكن تعريف البيئة بأنها المحيط المادي الذي يعيش فيه الإنسان بما يشمل من ماء وهواء وفضاء وتربة وكائنات حية ومنشآت أقامها الإنسان لإشباع حاجاته ثم قال بعد أن أورد عدة تعريفات لمصطلح البيئة: "ولعل التعريف الإجرائي هو التعريف المناسب للبيئة"[2].

وعرّف قانون حماية البيئة ومكافحة التّلوّث العُماني البيئة بأنّها: "الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويشمل الكائنات الحيّة من إنسان وحيوان ونبات وما يحيط به من هواء وماء وتربة، ومن مواد صلبة أو سائلة أو غازيّة أو إشعاعات وما يقيمه الإنسان من منشآت ثابتة أو غير ثابتة"[3].

وخلاصة القول إنّ مفهوم البيئة حدّد العرب معناه قديماً لكنه في صورة ضيّقة عمّا آل إليه في العصر الحديث نتيجة تطوّره بتطوّر الحياة حيث أصبحت البيئة علماً ونظام حياة، تلاقت فيهما وبهما حركة الحياة مع تقنية الحضارة المعاصرة.

الثّاني: <u>تعريف الخطاب الإسلامي</u>.

الخطاب الإسلامي، مصطلح حديث، فهو لم يرد في الأدبيّات الإسلاميّة. أمّا الخطاب المجرّد عن وصفه إسلاميّاً، فقد عرّفه العرب لغة: بأنه مراجعة

---

(1) عبد المجيد النّجّار، قضايا البيئة من منظور إسلامي، ص20.

(2) محمّد بن يحيى النّجيمي، البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي، بحث مقدّم إلى الدّورة التّاسعة عشرة لمجمع الفقه الإسلامي الدّولي، ص3.

(3) قانون حماية البيئة ومكافحة التلوّث العماني، ص2.

الكلام[1]، وأنه الكلام المنثور المسجع ونحوه[2]، كما عرّف بأنّه توجيه الكلام نحو الغير للإفهام[3].

ومنه الخطابة، التي عرّفها الشّريف الجرجاني، بأنّها قياس مركّب من مقدّمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب النّاس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعّاظ[4].

أمّا مفهومه اصطلاحاً، فالظّاهر أنّ المقصود به خطاب الشّارع يقول الإمام أبو يعقوب الوارجلاني: "اعلم أنّ الخطاب الوارد من الله سبحانه وتعالى، ومن الرّسول صلوات الله وسلامه عليه، ومن الأئمّة الخلفاء الرّاشدين الهادين المهتدين الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون رحمهم الله لا يخلو من أن يكون حقيقة أو مجازاً"[5].

وخطاب الشّارع، هو خطاب الله المتعلّق بأفعال المكلّفين إيجاباً أو تخييراً أو وضعاً، وقسّمه الأصوليون إلى خطاب تكليف وخطاب وضع.

وخطاب التّكليف من أثره الأحكام الشّرعيّة الخمسة وهي الوجوب والتّحريم والإباحة والنّدب والكراهية.

أمّا خطاب الوضع فهو ما جعله الشّارع سبباً أو شرطاً أو علّة لأمر آخر أو مانعاً منه[6].

من هنا نستطيع أن نحدّد تعريف الخطاب الإسلامي المستعمل في التّعبير المعاصر، بأنّه خطاب الشّارع قرآناً وسنّة وإجماعاً وقياساً ورأياً استدلاليّاً. أو بمعنى آخر، فإنّ الخطاب الإسلامي هو الأدلّة الشّرعيّة سواء كانت المصادر الأصليّة، كالقرآن والسّنّة والإجماع، أو المصادر التّبعيّة الأخرى، مع الأخذ في

---

(1) الفراهيدي، كتاب العين، مادّة خطب.
(2) الفيروزآبادي، القاموس، مادّة خطب.
(3) السّالمي، عبد الله بن حميد، طلعة الشّمس، ج 2ص326.
(4) التّعريفات، ص104.
(5) يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، العدل والإنصاف، ج 2ص31.
(6) السّالمي، مصدر سابق، ص325.

الاعتبار الخلاف بين المذاهب الإسلاميّة، وعلماء الإسلام في قوّة مصدريّتها، أو قوّة مصدريّة بعضها.

على أنّ المقصود من ذلك كلّه هو الإسلام عقيدةً وشريعةً وفكراً.

حماية البيئة من التلوث:

عرّفت المعاجم اللغويّة العربيّة التّلوّث أو التّلويث بأنّه الخلط واللّطخ والمرس والتّكدير، أي خلط الشّيء ولطخه ومرسه وتكديره بشيء آخر.

كما عرّف التّلوّث أو التّلويث علمياً بعدّة تعريفات، أنسبها وأكثرها تداولاً، هو أنّ التّلوّث: "هو إدخال الإنسان مباشرة أو بطريقة غير مباشرة لمواد أو لطاقة في البيئة والذي يستنتج نتائج ضارّة على نحو يعرض صحّة الإنسان للخطر ويضرّ بالموارد الحيويّة وبالنّظم البيئيّة وينال من قيم التّمتّع بالبيئة أو يعوق الاستخدامات الأخرى المشروعة للوسط"[1].

أمّا التّعريف القانوني للتّلوّث فهو: "التّغيّر أو الإفساد في خواص البيئة أو نوعيّتها بإدخال أي من المواد أو العوامل الملوّثة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ينتج عنه خطر على صحّة الإنسان أو الحياة الفطريّة أو ضرر على النّظم البيئيّة ممّا يجعلها غير صالحة للاستعمال في الأغراض المخصّصة لها"[2].

وقد عبّر القرآن الكريم عن التّلوّث أو التّلويث بلفظ الفساد أو الإفساد، جاء في ذلك آيات كثيرة منها قوله تعالى: [وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ] [البقرة: 205]. وسواء كان التّولّي بمعنى الولاية التي هي الإمارة أو الذّهاب، فإنّ ذلك الشّخص يسعى لخراب الأرض بإهلاك مَنْ عليها وما عليها من النّبات والإنسان قتلاً وتدميراً، وقوله تعالى: [كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ] [البقرة: 60]. والإفساد

---

(1) الإسلام والحفاظ على البيئة، ص31.

(2) قانون حماية البيئة ومكافحة التّلوّث العُماني، ص3.

والعبث بمعنى واحد، بل إنّ العبث أشدّ أنواع الفساد، وهو تأكيد بالنّهي عن الإفساد في الأرض.

وقوله تعالى: [وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا] [الأعراف: 85] وذلك لأنّ الأرض خلقها الله صالحة للحياة والعيش، فالواجب على الإنسان أن لا يسعى في خرابها والقضاء على صلوحيتها.

وقال Y: [ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] [الروم:41]. وهذه الآية الشّريفة تعتبر بحقّ وحقيقة هي القانون العامّ لتلوّث البيئة، وذلك لأنّ قانون التّلوّث أو العرف العامّ للتّلوّث استقرّ على وجود ثلاثة عناصر ألا وهي:

- حدوث تغيير بالبيئة.
- حدوث ذلك التّغيير من قِبَل الإنسان.
- إلحاق الضرر بالكائنات[1].

ونقوم هنا بتحليل هذه العناصر الثّلاثة وربطها بالآية الكريمة.

العنصر الأول: حدوث تغيير بالبيئة، وهو ما يحدث بالبيئة من فساد في عناصرها ومكوّناتها، كفساد الماء والهواء وتلوّث التّربة والغذاء، وتغيّر البحار والأنهار، ونفوق الحيوانات والطّيور والأسماك، وهلاك الإنسان وسائر الكائنات الحيّة والجامدة، وهو ما يعرف قانونيّاً بتدهور البيئة، ومعناه: التّأثير على البيئة بما يقلّل من قيمتها أو يغيّر من طبيعتها أو يستنزف مواردها الطّبيعيّة[2]. وهو الذي يشير إليه العنصر الأوّل من الآية الكريمة: [ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ] [الروم: 41].

العنصر الثّاني: نسبة حدوث ذلك التّغيير إلى الإنسان، وهو ما يحدثه الإنسان من تدمير للبيئة، ويشير إليه العنصر الثّاني من الآية: [بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي

(1) الإسلام والحفاظ على البيئة، ص35.

(2) قانون حماية البيئة ومكافحة التّلوّث العُماني، ص 4.

ٱلنَّاسِ] [الروم: 41]، وعرّفه القانون العُماني بأنّه المصدر، الذي هو "العمليّة والنّشاط الذي يحتمل أن يكون سبباً مباشراً أو غير مباشر للتّلوّث البيئي"[1].

العنصر الثّالث: الضّرر البيئي، وهو ما يلحق النّاس والكائنات الأخرى من ضرر وأذى نتيجة تغيّر البيئة وفسادها، وعرّف القانون العُماني الضّرر البيئي بأنه: "الأذى الذي يلحق بالبيئة ويؤثّر بشكل مباشر أو غير مباشر في خصائصها أو في وظيفتها أو يقلّل من مقدرتها"[2]. وهو ما يشير إليه العنصر الثالث من الآية [لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟] [الروم: 41].

ولعلّ من المناسب أن نجعل هذا التّفسير تفسيراً علميّاً للآية الكريمة، كما أنّ التّفسير الذي يربط ظهور الكوارث والآفات في الأرض بارتكاب المعاصي والفواحش كعقوبة ربّانية هو تفسير ديني.

وفي رأيي أنّه لا منافاة بين التّفسير العلمي والتّفسير الدّيني، بل إنّ التّفسير العلميّ يتضمن التّفسير الدّيني - إن صحّت هذه التّفرقة -؛لأنّه لا تعارض بين العلم والدّين وذلك أنّ اعتداء الإنسان على مكوّنات البيئة وعناصرها وإفسادها هو معصية لله تعالى خالق الكون وموجده [هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ] [لقمان: 11]، ولا ريب أنّه يترتّب على معصية الله عقوباته إن لم يكن التّنبه والرّجوع عن ذلك الاعتداء، فقوله تعالى في آخر الآية المذكورة: [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] [الروم: 41] يشير إلى الرّجوع عن الفساد الأخلاقي والاجتماعي والبيئي بالتّوبة والإصلاح وحماية البيئة من التّلوّث والفساد.

على أنّه يلحظ هذا المعنى من قوله تعالى: [وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ] [البقرة: 205].

---

(1) المصدر نفسه، ص5.

(2) المصدر نفسه، ص4.

فإنّ هذه الآية وإن كانت قد نزلت فيمن قتل حيوانات وأحرق زروعاً فإنّها اعتبرت ذلك الفعل مناقضاً للإيمان: "وليس هذا التّحريم لإتلاف الزّرع والحيوانات باعتباره تعدّياً على حقوق أصحابها فحسب، بل هو تحريم أيضاً، باعتبار أنّ هذا الإتلاف يُعدّ عملاً مفسداً للبيئة، إذ هو إهدار لمقدراتها في غير منفعة، وقد كان هذا المعنى ملحوظاً على درجة من الحسّ الحضاري لشيخ المفسرين الإمام الطّبري"[1].

ولذلك كان الخليفة أبو بكر الصّدّيق يوصي قادة جيوشه قائلاً لهم: "لا تقتلوا امرأة ولا صبيّاً ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تخرّبوا عامراً ولا تعقروا ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلّا لمأكلة، ولا تقطعوا نخيلاً ولا تحرقوه"[2].

وقد جاءت أحاديث نبويّة عديدة تنهى عن قتل الحيوانات والطّيور إلّا لمنفعة، أو خوف مضرّة.

وهكذا نجد أنّ الإسلام قد اهتمّ بالبيئة والحفاظ عليها اهتماماً بالغاً، داقّاً ناقوس الخطر للبشريّة بسلوكها الشّائن تجاه البيئة وطبيعتها، منذ خمسة عشر قرناً.

وقد تنبّهت البشريّة في العصر الحاضر - منذ بداية السّبعينات من القرن العشرين- إلى الخطر الّذي يتهدّدها، ويهدّد بقاءها من جرّاء تعاملها الجائر مع البيئة. على أنّ هذا التّنبّه جاء متأخّراً بعد أن وقع الفأس على الرّأس، كما يُقال، لذلك أصبحت قضيّة البيئة من قضايا السّاعة الملحّة، والحديث عنها حديث السّاعة، وصار التّحرّك من أجلها تحركاً واسعاً، حيث أصبحت تُعْقَد من أجلها المؤتمرات، وتُقام من أجلها النّدوات بشكل متواصل، ففي العام الواحد هناك العديد من المؤتمرات والنّدوات واللّقاءات والاجتماعات والمناشط والفعاليّات.

---

(1) البخاري، عبد المجيد، مصدر سابق، ص261.

(2) السّيوطي، جلال الدّين، تاريخ الخلفاء، ص179. وانظر قضايا بيئيّة من منظور إسلامي، ص264. والإسلام والحفاظ على البيئة.

وما مؤتمرنا الموقّر هذا إلّا واحداً منها، كما أنشئت الأطر الإداريّة والفنّيّة سواء على مستوى الحكومات أو على مستوى المجتمع المدنيّ للتّعامل الإيجابي مع قضايا البيئة.

ولعلّ من أهمّها إنشاء الهيئة الحكوميّة الدّوليّة المعنيّة بتغيّر المناخ التي تم إنشاؤها سنة 1988م بجهود مشتركة بين المنظمة العالميّة للأرصاد الجويّة، وبرنامج الأمم المتّحدة للبيئة، التي أُنيط بها تقييم المعلومات العلميّة المتّصلة بتغيّر المناخ، وتقدير الآثار النّاتجة عن التّغيّرات المناخيّة على المجالات البيئيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة[1].

وقد ظهرت الاتفاقيّات الدّوليّة والإقليميّة لحماية البيئة، منها:

- اتفاقيّة الأمم المتّحدة الإطاريّة بشأن تغيّر المناخ ولمواجهة التّأثيرات السّلبيّة لظاهرة الاحتباس الحراري والتّغيّرات المناخيّة، وقد بدأ التّوقيع عليها أثناء انعقاد مؤتمر قمّة الأرض الأولى في مدينة ريودي جانيرو بالبرازيل عام 1992م، وقد صادق على الاتفاقيّة المذكورة حتّى شهر فبراير من عام 2009م مائة وواحد وتسعون بلداً.
- اتفاقيّة كيوتو، وكيوتو مدينة باليابان، عقدت بها الاتفاقيّة عام 1997م، وهي ما يعرف ببروتوكول كيوتو كملحق للاتفاقيّة الإطاريّة.
- اتفاقيّة فيّنا لحماية طبقة الأوزون عام 1985م، وقد اتّفقت الدّول من خلالها على ضرورة التّعاون من أجل حماية طبقة الأوزون ووقف استنزافها.
- اتفاقيّة (بروتوكول) مونتريال عام 1989م، بشأن تجميد وتخفيض والتّخلّص من المواد المستنفذة لطبقة الأوزون، وقد حدّدت الاتّفاقيات آليّات التّعامل والتّبادل التّجاري بشأن تلك المواد مع الدّول غير الأعضاء[2].

---

(1) اتفاقيّات الشّؤون المناخيّة وجهود السّلطنة، ص2.

(2) اتفاقيّات الشّؤون المناخيّة وجهود السّلطنة، ص4 -22.

كما عقدت المؤتمرات الدّوليّة من أجل حماية البيئة والحفاظ عليها من التّغيّرات المناخيّة منها:

مؤتمر ستوكهولم بالسّويد عام 1972م، ومؤتمر فيّنا عام 1985م، ومؤتمر مونتريال عام 1989م، ومؤتمر قمّة الأرض في ريودي جانيرو عام 1992م، ومؤتمر كيوتو عام 1997م، ومؤتمر بون بألمانيا عام 2001م، ومؤتمر مرّاكش بالمغرب عام 2001م، ومؤتمر جوهانسبرج بجنوب إفريقيا عام 2002م، ومؤتمر أبو ظبي بدولة الإمارات العربيّة المتّحدة عام 2005م[1].

على أنّ هذه الاتّفاقيات والمؤتمرات التي أشرنا إليها لا تتعارض مع الإسلام بل تتّفق معه ويتّفق معها، لأنّها قائمة على دراسات علميّة ومبنيّة على استنتاجات علميّة وهي من المصالح المرسلة - أي المصالح العامّة- الّتي تعنى بمصالح الأمّة، ويتعلّق تنفيذها على الدّولة، فهي التي عليها مراعاة شؤون الأمّة ومنها بالطّبع مصالح مواطنيها.

وقد عرّف القانون العُماني حماية البيئة بأنها: "المحافظة على مكوّناتها وخوّاصها وتوازنها الطّبيعي وأنظمتها الطّبيعيّة ومنع تدهورها أو تلوّثها والحدّ منه ومكافحته وصون الموارد الطّبيعيّة وترشيد استغلالها وحماية الكائنات الحيّة وخاصّة النّادرة منها والمهدّدة بالانقراض"[2].

وفي رأيي أنّ حماية البيئة والحفاظ عليها من الفساد والتّلوّث من باب تحقيق المقاصد الشرعية الخمسة المعروفة الّتي هي:

حفظ الدّين، وحفظ النّفس، وحفظ العقل، وحفظ النّسب، وحفظ المال.

وهي المقاصد الضّروريّة للشّريعة الإسلاميّة، التي جاءت لتحقيق المصالح ودرء المفاسد.

---

(1) النّجيمي، محمّد بن يحيى، ص26- 27.

(2) قانون حماية البيئة ومكافحة التلوّث العُماني، ص3.

الحفاظ على المكونات الرئيسية للبيئة:

إنّ الحفاظ على البيئة يكمن في الحفاظ على عناصرها الرئيسيّة وهي أربعة: الماء والهواء والتّربة والغذاء.

الماء:

هو ذلك السّائل الذي لا لون له ولا طعم ولا رائحة، وهذه أوصاف الماء العذب الطّاهر المطهّر الذي يمكن استعماله شرباً وطهارة من الأنجاس والأحداث، أي أنّه مطهّر للنّجس ورافع للحدث، فقد جاء في الحديث النّبويّ الشّريف "الماء طهور لا ينجّسه إلّا ما غيّر لونه أو طعمه أو ريحه"[1].

وجعله الله أصل الحياة ومادتها لقول الله تعالى: [وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ] [الأنبياء:30]، فإنّ هذه الآية تدلّ دلالة واضحة على أنّ الماء هو أصل الحياة، حيث إنّ كلمة "حي" في الآية صفة لشيء، الأمر الّذي يدلّ على الاستغراق والعموم لكل كائن حي.

وقوله Y: [وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ] [النور: 45]، وإذا كانت الأرض هامدة يابسة وأنزل الله عليها الماء فإنها تهتز طرباً وتربو ابتهاجاً وتنبت الزروع فرحاً يقول الله تعالى: [وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ] [الحج: 5].

والله تعالى ينزل الماء ليخرج به الأنواع المختلفة والأصناف المتشابهة من جميع النّباتات والزّروع لكي ينعم الإنسان بالأكل والعيش على ظهر هذه البسيطة وتأكل معه الأنعام والحيوانات وسائر الكائنات الحيّة يقولY: [وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ] [طه: 53]، [كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ] [طه: 54]، ونظراً للأهمّيّة العظيمة للماء في الحياة فقد ذكره الله Y في ثلاث وستين (63) آية كريمة من كتابه العزيز.

---

(1) رواه الرّبيع بن حبيب في المسند.

وقد أجاد الطّبيب واللّغويّ أبو محمّد عبد الله بن محمّد الأزدي العُماني الصّحاري في القرن الخامس الهجري، عندما جعل عنوان كتابه الطّبّي "كتاب الماء" [1] قائلاً: "إنّ الماء سرّ الحياة في الدّنيا والآخرة".

وهكذا تجب صيانة الماء وحمايته من التّلوّث الذي تسبّبه المخلّفات الصّناعيّة، والصّرف الصّحيّ والنّفايات النّوويّة والمبيدات الحشريّة، والصّناعات الكيماويّة، حيث إنّه من المعلوم أنّ الكثير من الأمراض تنشأ عن تلوّث الماء نظراً لتكاثر طفيليّات البكتيريا في الماء الملوّث لذلك فإنّ "التّلوّث الماء آثاره الضّارة على الصّحّة العامّة للإنسان ليس فحسب، ولكن على الكائنات الحيّة عامّة والّتي تعتبر أساساً للإنتاج ممّا يقلّل أو يضعف منه، الأمر الّذي يعتبر ركيزة لأي تقدّم حضاري، من هنا وجب الاهتمام بحماية البيئة من تلوّث المياه، ومواجهة الآثار السّلبيّة لهذا التّلوّث"[2].

لذلك كان الإسلام حريصاً على نقاوة الماء وجعله بعيداً عن التّلوّث والفساد، فقد عبّر الخطاب الإسلامي عن حرصه على ذلك، حيث أشار القرآن الكريم إلى نعمة الماء الطّاهر النّقي الصّافي غير الملوّث بقوله: [وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا] [الفرقان: 48] أي طاهر مطهّر غير ملوّث.

وقوله [وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا] [المرسلات: 27]، أي ماءً نقيّاً صافياً مرويا مزيلاً للعطش، وقوله تعالى: [مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ] [محمد: 15]. أي ماء غير راكد.

لأنّ الأسون مظنّة التّلوّث أو يغلب عليه التّلوّث والفساد، فالماء الصّحي ينبغي أن يكون جارياً، وكلّما ازداد جريانه وطالت مسافة جريانه كان أكثر

---

(1) ولد في مدينة صحار بعُمان وتوفي في بلنسية بالأندلس سنة 456هـ بعد أن طوف بالعراق وفارس والشّام ومصر إلى أن استقر في الأندلس، وألّف كتابه بالطريقة المعجميّة على الحروف الأبجدية أو الألفبائيّة، وهو يذكر العلل والأمراض والعلاج وأسماء الأدوية بناء على الاشتقاق اللّغوي.

(2) الإسلام والحفاظ على البيئة، ص 75.

عذوبة وأفضل صحّة كما هو مقرّر عند الأطبّاء، يقول الأزدي: "وأجود ما يكون النّهر أن يطول مجراه ويمرّ على الحجارة تارّة وعلى الحصى أخرى، ثمّ على الرّمل والطّين الإبليز "[1].

وقد نهى النّبيّ ρ عن تلويث المياه، محذّراً من عدّة أمور، منها عدم البول في الماء الرّاكد، حيث قال عليه الصّلاة والسّلام: «لا يبولن أحدكم في الماء الدّائم ثمّ يغتسل منه ثمّ يتوضّأ»[2] والدّائم معناه الرّاكد.

كما أمر ρ شارب الماء أن يحرّك الإناء عن فمّه عند التنفّس قائلاً له: « أبن القدح عن فيك ثمّ تنفّس»[3] ، وقاس الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الطّعام على الشّراب بقوله: "وكذلك في الطّعام لا ينفخ فيه وإن كان حارّاً فليبرده"، وذلك لما يختزنه الفمّ من الكثرة الكاثرة من البكتيريا والميكروبات التي إذا انفصلت عن فمّ الإنسان كانت ضارّة مضرّة ملوّثة.

ولعلّ الحديث الوارد عنه عليه الصّلاة والسّلام بالنّهي عن ورد الحيوانات المريضة مع الحيوانات الصّحيحة «لا يردّ هائم على مصحّ»[4] فيه إشارة إلى تلوّث الماء أيضاً، وإن كان الحديث قد فسّر بالنّهي عن اختلاط الإبل المريضة بالإبل الصّحيحة حتى لا تنتقل عدوى المرض من المريضة إلى الصّحيحة، فإنّه من الممكن أيضاً أنّ تنتقل العدوى عن طريق الماء عندما تشرب منه الحيوانات المريضة، ويتلوّث من شربها.

وقد نصّت التّشريعات القانونيّة على هذا المعنى، واقتصر هنا على ما جاء في قانون حماية البيئة ومكافحة التّلوّث العُماني في المادّة (20) منه حيث جاء فيها: "يحظر تصريف المواد والمخلّفات الخطرة وغيرها من ملوّثات

---

(1) كتاب الماء، ج1ص36.

(2) رواه الرّبيع.

(3) رواه الرّبيع.

(4) رواه الرّبيع.

البيئة في الأودية أو مجاري المياه أو مناطق تغذية المياه الجوفيّة أو شبكات تصريف مياه الأمطار والفيضانات أو الأفلاج ومجاريها.

كما يحظر استخدام أو تصريف مياه الصّرف في غير الأماكن المشار إليها ولا يجوز الاستخدام أو تصريف مياه الصّرف المعالجة إلّا بعد الحصول على تصريح من الوزارة وفقاً للإجراءات والأوضاع التي يصدر بها قرار من الوزير.

كما نصّت المواد: (22)، (23)، (26) من القانون نفسه على حماية المياه البحريّة الدّاخليّة والإقليميّة من التّلوّث[1].

الهواء:

التّعريف الطّبيّ للهواء، هو أنّ الهواء الجوّ، وهو ما بين السّماء والأرض، والهواء جسم بسيط حارّ رطب.

أمّا حرارته فلأنّه لو لم يكن حارّاً لم يكن خفيفاً لأنّ البرد يوجب الثّقل والكثافة فإن قيل إنّه يبرد الماء وبخاصّة عند المبالغة في الدّفع، ومبرد البارد بارد، أجيب بأنّ تبريد الماء المعلّق في الجوّ إنّما هو بعوده إلى برده الطّبيعي لضعف العامل المسخّن له هنالك.

وأمّا رطوبته فلأنّه يقبل الأشكال ويتركها بسهولة، فإن قيل لو كان رطباً لما جفّف الأجسام الرّطبة إذا علقت فيه، أجيب بأن تجفيفه لرطوبة تلك الأجسام إنّما هو بتبخيره الأجزاء المائيّة الّتي فيه بحرارته الأصليّة[2].

أمّا التّعريف العلميّ للهواء فهو كلّ المخلوط الغازي، المتكوّن من غازات عدّة مثل غاز النيتروجين الذي يشكّل النّسبة الكبرى من الغلاف الجويّ،

---

(1) قانون حماية مكافحة التّلوّث الصّادر بمرسوم السّلطاني رقم 114/ 2001م.

(2) كتاب الماء، ج 3، ص 462.

وغـاز الأكسـجين وغـاز ثـاني أكسـيد الكربـون، وبخـار المـاء والهيـدروجين والأوزون والهليوم وغازات أخرى يُقال عنها إنّها خاملة[1].

وعرّفه قانون حماية البيئة ومكافحة التّلوّث العُماني بأنّه خليط من الغازات تتعرّض له الكائنات الحيّة أو غير الحيّة في الأماكن العامّة أو الخاصّـة أو أمـاكن العمل[2].

ويتكـوّن الغـلاف الجـويّ لـلأرض مـن عـدّة طبقـات، هـي التربوسـفير والستراتوسـفير، والميزوسـفير، والثرموسـفير، ويتشـكّل ويتفكّك ثـمّ يعـاد تشـكّله مـرّة أخـرى وبصـورة مستمرّة فـي طبقـة الستراتوسـفير التـي تقـع علـى ارتفـاع يترواح بين 15-55كم من سطح الأرض وتتحقّق الظّروف المثاليّـة لحدوث هذه الدّورة المتّزنة من تشكيل الأوزون وتفكّكه علـى ارتفـاع حـوالي 20-25كم من سطح الأرض ولذلك فإنّ هذه المنطقة من طبقة الستراتوسفير تعتبر هي المنطقـة الأغنى بغاز الأوزون ويطلق عليها اصطلاحاً (طبقة الأوزون)، ولكلّ طبقة من هذه الطّبقات بما تشتمل عليه من الغازات دور بيئي بما فيها تلك التي تبتعد عن الأرض مئات الكيلومترات، فبعضـها يبنـي المـادة الحيّـة، وبعضـها يصـدّ الأشـعّة الضـّارّة، وبعضـها يقوم بـدور مهمّ فـي تعـديل المنـاخ، وكلّهـا تشـترك فـي النّظـام البيئي العام[3].

ويـرى الـدّكتور النّجّـار أنّ الغـازات التـي تكـوّن الغـلاف الجـويّ المحـيط بالأرض هي التي أشار إليها القرآن الكريم فـي قولـه تعـالى: [**وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا**] [الأنبياء: 32][4].

---

(1) المبارك، راشد، هذا الكون مـاذا نعرف عنـه، ص 76. وانظـر الإسـلام والحفـاظ علـى البيئـة، ص 8. وقضـايا البيئة من منظور إسلامي، ص 24.

(2) طبقة الأوزون، وزارة البيئة والشّؤون المناخيّة، سلطنة عُمان، ص 8.

(3) قضايا البيئة من منظور إسلامي، ص24.

(4) المصدر نفسه، ص24.

ومن المعروف علميّاً أنّ تلوّث الهواء يؤدّي إلى تلوّث الغلاف الجويّ الّذي كان السّبب وراء حدوث خلل في طبقة الأوزون، المعبّر عنها بثقب الأوزون.

وذلك يؤدّي إلى الإخلال بعمليّة تفكيك وتشكّل الأوزون، ممّا يجعل الأشعة فوق البنفسجيّة ـ ب ـ تخلق أضراراً كبيرة بالبيئة، منها الإصابة بمرض سرطان الجلد للإنسان والحيوان، كما يؤدّي إلى تدمير المحاصيل الزّراعيّة "وباختصار فإنّ التّعرّض لهذا النّوع من الأشعة قد تؤدّي إلى إلحاق الضّرر بجميع أشكال الحياة على سطح الأرض"[1].

كما أنّه أصبح من المعلوم أنّ ملوّثات الهواء عديدة منها:

* تصاعد الأتربة التي تثيرها أعمال الحفر والإنشاءات العمرانيّة وتحريك عجلات وسائل النّقل فوق الأراضي التّرابيّة والرّمليّة كمثل ما حدث في صحراء الأنبار العراقيّة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام 2003م حيث حرّكت القوّات الأمريكيّة وحلفاؤها آلاف الآليّات العسكريّة في الأنبار أثناء المعارك مع المقاومة العراقيّة، ممّا تسبب في إثارة الغبار في أجواء العراق وفي أجواء الدّول الخليجيّة.

* الدّخان المتصاعد من وسائل النّقل المختلفة التي تتحرّك بالوقود من البنزين والدّيزل، والدّخان الذي تثيره المصانع، وكذلك الدّخان المتصاعد من المحطّات الكهربائيّة ومحطّات تصفية النّفط وحرق القمامة والفضلات، والدّخان المتصاعد من الأفران والمطابخ.

ولا يغيب عن الذّاكرة ذلك الدّخان الّذي غطّى سماء منطقتنا الخليجيّة نتيجة غزو العراق للكويت في عام 1990م وإحراق آبار النّفط وكذلك دخان آبار النّفط العراقيّة بعد الهجوم الأمريكي على العراق عام 2003م.

---

(1) طبقة الأوزون، وزارة البيئة والشّؤون المناخيّة، ص9.

* الأقمار الاصطناعيّة وهي أعداد هائلة تجوب الفضاء وتوثر على الغلاف الجويّ، مثل أقمار التّجسّس وأقمار البثّ التّلفزيوني، وغيرها ذات الذّرائع المتعدّدة.

* الصّواريخ التي تطلق من أماكن بعيدة عن الأهداف، بل وحتى القريبة من الأهداف لها تأثيرها، ولكلّ تأثيره بحسبه.

* سفن الفضاء التي ترسلها الدّول الكبرى.

* المواد المشعّة، وأخطرها تلك التي تحدثها التّفجيرات النّوويّة وما حادثتا إلقاء القنبلتين النّوويتين الأمريكيتين على مدينتي هيروشيما وناكزاكي اليابانيتين عام 1945م إلّا دليل واضح على الخطورة الشّديدة على الحياة من تلك المواد المشعّة.

وما حادثة انفجار مصنع تشرنوبل بالاتحاد السّوفيتي 1986م عنّا ببعيدة وكذلك ما تحدثه النّفايات النّوويّة من تلك المواد المشعّة فإنّ فيها الخطر المحدق بالحياة البشريّة على هذا الكوكب.

ولا شكّ ولا ريب أنّ الدّول الكبرى هي أكثر تلويثاً للبيئة وغلافها الجوي، نظراً للصّناعات النّوويّة والصّناعات الثّقيلة الأخرى التي تقوم بتصنيعها وفي مقدّمة تلك الدّول الولايات المتّحدة الأمريكيّة ، لذلك فهي لم توقّع على أيّ من الاتّفاقيات المتعلّقة بحماية البيئة وطبقة الأوزون.

وقد حرص الخطاب الإسلامي قرآناً وسنّة على محاربة ومكافحة تلوّث الهواء وكذلك عنيت القوانين الدّوليّة والمحليّة بمثل ذلك.

فالله تعالى يقول: [ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً] [البقرة:22]. ويقول: [وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا] [الأنبياء: 32]، ويقول: [وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا] [فصلت: 12]، وقوله تعالى: [وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ] [المدّثر: 4].

هذه الآيات وغيرها من الممكن أن يفهم منها وجوب صيانة البيئة والمحافظة عليها من اختراقها وتلويثها.

أمّا السّنّة المطهّرة، فقد أمرت بالطّهارة، فهناك الوضوء للصّلاة، والغسل من النّجاسات والأحداث الكبرى والاستحمام كالغسل يوم الجمعة، واستعمال الطيب والرّوائح الزّكيّة، كما حثّت على النّظافة بشكل عام كنظافة المكان ونظافة الأبدان ونظافة الملابس، كلّ ذلك ليكون الهواء نقيّاً غير ملوّث.

كما كان اهتمام المجتمع الدّوليّ كبيراً بمكافحة تلوّث الهواء وطبقة الأوزون، فقد عملت الاتّفاقيّات الدّوليّة الّتي قدّمنا ذكرها لمعالجة ذلك.

وقد اتّخذت سلطنة عُمان التّدابير اللازمة لحماية البيئة بما فيها حماية طبقة الأوزون، حيث انضمّت إلى اتّفاقيّة (فيّنا) لحماية طبقة الأوزون وبروتوكول مونتريال بشأن المواد المستنفدة لطبقة الأوزون وتعديلاته في كلّ من لندن وكوبنهاجن، وذلك بموجب المرسوم السّلطاني رقم 98/73، وأنشأت من أجل ذلك الأطر الإداريّة والفنّيّة للعمل بذلك[1].

وأصبح معلوماً أنّ تلوّث الغلاف الجوي أدّى إلى حدوث خلل في طبقة الأوزون، المعروف بثقب الأوزون، الأمر الّذي بدوره يؤدّي إلى أضرار بيئيّة جسيمة، مثل ظاهرة الاحتباس الحراري أو الدفء العالمي التي تؤدّي إلى سخونة أسطح البحار والمحيطات نظراً لارتفاع درجة الحرارة، ممّا ينتج عنه تبخّر المياه بشكل كثيف، حيث يؤدّي ذلك إلى نشوء الأعاصير والعواصف التي تسبّب الفيضانات.

كما تؤدّي ظاهرة الاحتباس الحراري إلى ذوبان الجليد القطبيّ في القطبين الشّمالي والجنوبي.*

---

(1) اتفاقيّات الشّؤون المناخيّة، وزارة البيئة والشّؤون المناخيّة.

* لعلّه من المناسب أن نذكر: أنّه أثناء كتابة بعض فقرات هذا البحث كانت السّلطنة تتعرّض لمرور الإعصار الّذي أطلق عليه "إعصار فيت" وذلك يومي الخميس والجمعة 20، 21 جمادى الثّانية لعام 1431هـ 3، 4 يونيو 2010م الّذي تسبّب في حدوث أمطار غزيرة وفيضانات في بعض المناطق الشّرقيّة نتيجة مرور الإعصار بمحاذاة السّواحل الشّرقيّة للسّلطنة، ولعلّه من لطائف الأحوال أن يكون الإعصار الذي أطلق عليه "جونو" الّذي ضرب السّلطنة في نفس الأماكن قبل ثلاث سنوات كان أيضاً في 5 يونيو 2007 أي في نفس الشّهر.

التّربة:

التّراب، والتّرب واحد، والتّربة مؤنّث التّراب، وأرض طيّبة التّربة أي خلقة ترابها[1]، والتّراب والتّربة ما نعم من أديم الأرض وهو جزء الأرض السّطحي الّذي يتناوله المحراث[2].

وقد ذكره الله Y بهذا المعنى في قوله: [فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗا] [البقرة: 264].

على أنّ جزء الأرض السّطحي الّذي يتناوله المحراث يطلق عليه كلمة الأرض أو يتناوله معنى كلمة الأرض في قوله تعالى: [ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا] [البقرة: 22]. وقوله تعالى: [وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا] [نوح: 19]، وقوله Y : [وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ] [الذاريات: 48].

وغيرها من الآيات الكثيرة، وقد ورد ذكر الأرض في القرآن الكريم (461) مرّة، وما ذلك إلّا لأهميّتها في حياة النّاس.

وكلمة الأرض تشمل التّربة وغيرها من عناصر الأرض.

فالحديث عن التّربة، يعني الحديث عن الأرض الصّالحة للحياة، فهي الوسط البيئي الصّالح للحياة، وأهمّ مصدر يمدّ الكائنات الحيّة بأسبابها فهي تضمّ النّباتات من غابات وأشجار وأحراش ومزارع لا يحصى لأنواعها عدد.

وفيها المملكة الحيوانيّة، وعليها تجري الأنهار، ولولا ذلك لما قامت على سطحها الحياة[3].

والله تعالى جعل الأرض دار قرار للإنسان والحيوان وكائنات أخرى يقول الله تعالى: [وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ] [البقرة: 36]، وقوله تعالى: [أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا] [النمل: 61].

---

(1) كتاب العين، مادّة: ترب.

(2) المعجم الوسيط، مادّة ترب.

(3) السّامرائي، مهدي صالح، الحفاظ على البيئة، ص21.

كلّ ذلك امتنان من الله على عباده ليشكروه ويعبدوه ولا يشركوا به شيئا، [وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا] [النساء: 36]، [وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ] [الأعراف:10].

وقد أمرنا الإسلام بعمارة الأرض بقوله Y: [هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا] [هود: 61]، فهذه الآية فيها الأمر بعمارة الأرض يقول الشّيخ اطفيش: "أي جعلكم عامرين فيها، أي باقين أحياءً، أو للطّلب أي طلبكم أن تعمّروا الأرض بالسّكنى والبنيان والحرث والإسلام، والطّلب من الله على ظاهره، إلّا أنّ الله قادر غير محتاج، قاهر غير عاجز، أو بمعنى الأمر والإقدار أي أوجب عليكم عمارتها، وأقدركم عليها، ونهاكم عن إخرابها بإهمالها وبعمل المعاصي"[1].

وأرى أنّ هذه الآية الكريمة أصل في عمارة الأرض بكل ما هو صالح للحياة، لعلّه هنا يترجّح القول الأصولي القائل: الأمر بالشّيء نهي عن ضده.

وقد جاءت آيات أخرى تكمّل هذا المعنى و تحقّقه، حيث يقول الله Y: [هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ] [الملك: 15].

وقوله تعالى: [فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ] [الجمعة: 10]، فالأكل من الرّزق وابتغاء فضل الله لا يكونان إلّا من تعمير الأرض وإقامة أسباب الحياة عليها.

لذلك جاءت السّنّة النّبويّة عبر أحاديث عديدة حاثّة على عمارة الأرض منها قوله ρ: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له »[2]، ترغيباً وحثّاً على تعمير الأرض، لكي يتسابق النّاس إلى إحياء الأرض، كما أنّ في ذلك إشارة إلى أنّ الملكيّة الخاصّة تشجّع على الإنتاج الاقتصادي، وقوله عليه الصلاة والسلام: «من عمّر أرضاً ليست لأحد فهو أحقّ بها»، قال عروة بين الزبير: "قضى بذلك عمر في خلافته"[3].

---

(1) تيسير التّفسير، ج 6 ص427.

(2) رواه مالك في الموطأ.

(3) رواه البخاري.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلّا كان له به صدقة»[1].

والأحاديث في هذا المعنى عديدة وكثيرة، وكلّها تأمر بالعمارة، وكما أنّ الإسلام يأمر بعمارة الأرض والحفاظ عليها فإنّه ينهى عن تخريب الأرض وتدميرها، ولا أشدّ من تلويث بيئة الأرض الّذي يتجلّى في عدّة أشياء منها:

- التّفجيرات النّوويّة، والتي تنشأ عن الحروب وعن التّجارب النّوويّة.
- الفضلات والقمامة التي تحتوي على المخلّفات الصّعبة والمخلفات البلاستيكيّة وحرق الفضلات والقمامة التي فيها مواد بلاستيكيّة تفرز مواداً سامّة مضرّة بالبيئة.
- المبيدات الحشريّة، الّتي تتسبّب في قتل البكتيريا المسؤولة عن التّحليل العضوي للتّربة.

على أنّه من الملاحظ أنّ المزارعين يقومون بتسميد زراعاتهم بالمواد الكيماويّة وهذه المواد لها تأثيرها على التّربة حيث تفقدها خصوبتها، كما أنّ للمنتج الزّراعي أثره الضّارّ على صحّة الإنسان، غير أنّ المزارعين لا يهمهم إلّا كثرة المنتج ووفرته.

وعلى العموم، فإنّ سطح الأرض يتلوّث بوجه عام نتيجة تراكم المواد والمخلّفات الصّلبة الّتي تنتج من المصانع والمزارع والمنازل والمطاعم، والملوّثات التي تختلط بالتّربة الزّراعيّة تفقدها خصوبتها وتؤثّر تأثيراً سيئاً فيها، حيث تتسبب في قتل البكتيريا المسؤولة عن تحليل المواد العضويّة وعن تثبيت عنصر النيتروجين[2].

---

(1) رواه البخاري.

(2) الاسلام والحفاظ على البيئة، ص109.

وأهمّ ما يواجه التّربة بالقضاء على كونها صالحة للزّراعة أمران اثنان هما:الملوحة والتّصحّر.

فالملوحة، هي مشكلة البلدان قليلة الأمطار، مثل بلدان شبة الجزيرة العربيّة ومنها سلطنة عُمان وخاصّة منطقة سهل الباطنة منها الّتي كانت تعرف بأنّها بحبوحة عُمان، والبحبوحة معناها الوسط والخيار وذلك الخيار لكثرة خيراتها ووفرة منتوجاتها، وأصبحت تعاني من الملوحة بدرجة كبيرة إلى حدّ أن اختفت مناطق زراعيّة كبيرة كانت سابقاً حدائق ذات بهجة، وتؤتي ثمارها وأكلها كل حين بإذن ربّها، حيث كانت تحتوي على أصناف عديدة من المزروعات، مثل النّخيل وأشجار الأمبا (المانجو) والليمون والموز والبقوليّات والحبوب والقت (البرسيم) وغير ذلك من الأصناف الزّراعيّة، فقد انقرضت تلك المزروعات نتيجة زحف الملوحة على الأراضي الزّراعيّة، وتحوّلت تلك الأراضي الزّراعيّة إلى أراض سكنيّة وتجاريّة وصناعيّة، ولا شكّ أنّ هناك عوامل أدّت إلى وجود الملوحة منها:

- الجفاف، نتيجة شحّ الأمطار في السّنوات الأخيرة، حيث أصبحت كميّة الأمطار قليلة لا تكفي للريّ الجيّد الذي من شأنه أن يطرد الملوحة أو يصدّ زحفها على الأقلّ.

- الاستنزاف الكثير للمياه بشكل عشوائي - إن صحّ التّعبير- سواء كان ذلك في الاستعمال المنزلي أو في الرّيّ الزّراعيّ، وهنا لا بدّ من تطوير وسائل الرّيّ وآليّاته، تخفيفاً لاستنزاف المياه وتقليلاً لإهدارها، ممّا يعني ترشيداً لاستهلاك المياه.

- التّوسّع الزّراعي الزّائد على الحاجة، بمعنى أنّ إحداث مساحات زراعيّة أخرى كبيرة لا شكّ أنّها تكون على حساب الأراضي الزّراعيّة السّابقة مثل التي أشرنا إليها من أوّل السّطر.

أمّا **التّصحّر**، فيعرف بأنه التّدهور الكلي أو الجزئي لعناصر البيئة[1]، ومن مظاهر التّصحّر:

- انجراف التّربة الصّالحة للزّراعة، حيث إنّه لا بدّ للنّبات - الّذي يعدّ من أهمّ أدوات مكافحة التّصحّر - من تربة صالحة، يعتمد عليها في نمائه وبقائه، وقد ضرب الله مثلاً لمثل هذه الحالة [**فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا**] [البقرة: 264].

إنّ هذا التّصوير الرّائع البديع في عدم الانتفاع بالأعمال، كمثل ذلك التّصحّر الّذي أصاب ذلك الجبل الذي صار صلداً أجرداً نتيجة انجراف التّربة عنه وأصبح لا ينتفع منه بشيء.

- الزّحف الرّملي، الّذي يحلّ محلّ التّربة الصّالحة للزّراعة، وهذا الشّيء يكثر حاله عند القحط والجفاف، ثمّ تقوم الرّياح بتحريك الرّمال من أماكنها إلى الأماكن المعمورة بالزّراعة والرّيّ.

- فقدان النّباتات، إمّا نتيجة الجفاف وملوحة المياه ثمّ ملوحة التّربة، وإمّا بقطع الأشجار لاسيّما أشجار الغابات، حيث يعمد الكثيرون إلى قطعها للتّجارة بالأخشاب نظراً للتّوسّع العمراني الّذي يشهده العالم، ولا ريب أنّ قطع الأشجار من الغابات يؤدّي إلى فقد التّوازن البيئي، كما أنه يؤدّي إلى تقليل هطول الأمطار.

- الرّعي الجائر، وذلك بترك الحيوانات تعبث في الرّعي دون مبالاة من أصحابها.

هذه هي أهمّ التّحدّيات الّتي تواجه صلوحيّة التّربة وبالتّالي تجعلها غير قادرة على العطاء الغذائي للإنسان والكائنات الحيّة الأخرى، لذلك فإنّ الأمر يستدعي تدخلاً إصلاحيّاً لهذا الوضع البيئي المتدهور.

---

(1) النّجيمي، محمّد بن يحيى، مصدر سابق.

ولا ريب أنّ الإسلام قرآناً وسنّة عالج مثل هذه الظّواهر والتّحدّيات التي تواجه التّربة للحفاظ عليها من التّلوّث والفساد والملوحة والتّصحّر، بما أمر به من استصلاح للأرض وإقامة المزروعات عليها.

فقد حكى القرآن الكريم عن النّبيّ يوسف υ بما قرّره من الخطّة الزّراعيّة لأهل مصر بقوله: [قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ] [يوسف: 47- 49].

فإنّها خطّة زراعيّة عمليّة وتخطيط اقتصادي سليم، كلّ ذلك تعليم للبشريّة في كيفيّة التّعامل مع الأرض بالزّراعة والاستصلاح، تكيّفاً مع الوفرة المائيّة المتاحة خصباً وقحطاً.

كما جاءت السّنّة النّبويّة الدّالّة والمرشدة إلى مثل هذه الخطّة وإلى مثل هذا التّخطيط، وقد عالجت القوانين التّشريعيّة حماية التّربة من التّلوّث حيث جاء في قانون حماية البيئة ومكافحة التّلوّث العُماني في المادّة (21) ما يلي:

"للوزارة بالتّنسيق مع الجهات المختصّة اتّخاذ جميع الإجراءات اللازمة لحماية التّربة ومكافحة التّصحّر وفقاً للخصائص الطّبيعيّة للتّربة وطبقاً لظروف المنطقة المعنية ولا يجوز:

أ ـ قطع أو اقتلاع أو الإضرار بأي شجرة أو شجيرة أو أعشاب من الغابات العامّة إلّا بتصريح من الوزارة.

ب- ممارسة أيّ نشاط يضرّ بكمّية التّربة أو نوعيّة الغطاء النّباتي في أيّ منطقة أو يكون من شأنه أن يؤدّي إلى التّصحّر أو تشويه البيئة الطّبيعيّة.

ج- نزع الحجارة أو اقتلاع الأشجار والشّجيرات والأعشاب أو نقل التّربة والرّمال من مجاري المياه والشّواطئ والأودية أو البرك والمستنقعات ومصارف المياه العامّة وضفافها إلّا بتصريح من الوزارة"[1].

(1) قانون حماية البيئة ومكافحة التلوّث العماني، ص11.

وخلاصة القول إنّ السّبب الرّئيس للتّصحّر هو سوء إدارة واستغلال الأنظمة البيئيّة من قبل الإنسان أو بتعبير آخر سوء استغلال الإنسان لموارد التّربة والمياه والنّبات[1].

الغذاء:

الغذاء لغةً: هو الطّعام والشّراب واللّبن، وقد يغذّوا غذاء[2]، ولكون الغذاء مرتبطاً بصحّة الإنسان فإنّ الطّبّ له حضوره في تعريفه فالغذاء ما يكون به نماء الجسم وقوامه من الطّعام والشّراب، وهو ما يغتذى به من طعام وشراب.

وهو عندنا: كلّ ما يزيد في جوهر البدن وأقطاره ولا يغيّر شيء من كيفيّاته، ويسمّى طعاماً ويسمّى غذاءً بالقوّة قبل التّحلّل وغذاءً بالفعل بعد التّحلّل[3].

وبما أنّ الغذاء هو الطّعام فإنّ أوّل مكوّنات الطّعام النّبات النّاتج عن الزّراعة أو الفلاحة، ومن المعلوم أنّ الزّراعة والفلاحة بمعنى واحد.

وقد عرف الخليل بقوله: الزّرع نبات البرّ والشّعير، النّاس يحرثونه والله يزرعه أي ينمّيه حتّى يبلغ غايته وتمامه، والمزدرع الّذي يزرع أو يأمر بحرث زرع لنفسه خصوصاً، والمزدرع الأرض الّتي يزرع فيها قال:

فاطلب لنا منهم نخلاً ومزدرعا كما لجيراننا نخل

وقال: الفلّاحون، الزّراعون.

---

(1) السّامرائي، مصدر سابق، ص22.

(2) الفراهيدي، كتاب العين، مادّة غذو.

(3) الأزدي، كتاب الماء،ج2ص92، مادّة غذو.

(4) الفراهيدي، كتاب العين، مادّة زرع.

ونظراً لأهمّيّة الزّراعة في صنع الطّعام أو الغذاء فإنّه نشأ هنالك علم الزّراعة أو الفلاحة الذي يعرف بأنّه علم يبحث عن خوّاص نوع علم النّباتات وعجائبها وأشكالها ومنافعها ومضارّها، وموضوعه نوع النّبات.

وفائدة التّداوي به كما أنّه صناعة الطّبيعة التي هي النّظر في النّبات من حيث تنميته ونشوؤه بالسّقي والفلاج وتعهده بمثل ذلك[1].

وإذا كان الله قد جعل ما على الأرض زينة لها في قوله عز من قائل: [إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] [الكهف: 7] فإنّ النّبات هو أفضل تلك الزّينة، لأنّ فيه إبهاج النّفوس في قوله تعالى: [حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ] [النمل: 60]. على أنّه يفهم من الآية التي بعدها [وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا] [الكهف: 8] إنّ المقصود بما على الأرض من زينة هو النّبات.

ولقد امتنّ الله على عباده بنبات الأرض لأنّ فيه يرعون حيواناتهم ويأكلون من أصناف المحصول الزّراعي ومن كلّ الثّمرات كالفواكه والحبوب وغيرها حيث قال Y: [هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] [النّحل: 10، 11].

وقال تعالى أيضاً مذكّراً ومشوقاً عباده بجنان الأرض، المنظّمة والطّبيعيّة، تشويقاً لهم إلى جنان الآخرة: [وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ] [الأنعام: 141] على أنّ هذه الآية الكريمة تعتبر الزّراعة أساس التّغذية التي بدونها لا يتصوّر أن يكون هناك غذاء، [كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ] [الأنعام: 141]، فالمحاصيل الزّراعيّة هي المصدر الغذائي الأساسي للكائنات الحيّة، كما أنّ من المعلوم أنّ الطّاقة تستمدّها الكائنات الحيّة من التّغذية من النّباتات التي

(1) المصدر نفسه، ص24.

تحوّل إليها طاقة الشّمس من خلال التّمثيل الضّوئيّ وتتحوّل تلك الطّاقة التي مصدرها إلى طاقة كيميائية تخزّنها الخلايا النّباتيّة[1].

وكما أنّ الخطاب الإسلامي أمر بإيجاد مصدر الغذاء الّذي هو الزّراعة وأكّد عليه بقوّة باعتباره عمارة للأرض التي أنشأنا الله منها واستخلفنا فيها [هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا] [هود: 61]، وقد تقدّم أنّ قوله تعالى: [وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا] [هود: 61]، أي أمركم بعمارتها، فإنّه أمر أيضاً بالحفاظ على المنتج الغذائي من الفساد والتّلوّث، حفاظاً على الصّحّة العامّة، وقد يتعرّض الإنسان لكثير من الأمراض نتيجة تناوله المباشر لغذاء ملوّث، أو المتلوّث تلوثاً غير مباشر المتمثّل في تغذية الحيوان على علائق ملوّثة تنتقل بعد ذلك إلى الإنسان نتيجة تناوله للمنتجات الحيوانيّة الملوّثة مثل اللّبن والجبن والبيض وبعض أجزاء الحيوانات مثل الكبد، أو نتيجة تناوله خضروات أو فواكه أو بقوليّات ملوّثة، ذلك لأنّ الغذاء ضروري لاستمرار الحياة وحفظ النّوع البشريّ[2].

لذلك أمر الرّسول الكريم ρ بإغلاق الأبواب وإيكاء أوعية المياه وتغطية أواني الطّعام، حيث قال: «أغلقوا الأبواب وأوكوا السّقاء وغطّوا الإناء»[3]. وذلك أثناء اللّيل لأنّه مظنّة وجود الزّواحف السّامّة، والحشرات الضّارّة،ووقوع الفراشات الطّائرة وغيرها من الملوّثات التي تضرّ بالصّحّة وتفسد المعيشة.

كما أمر عليه الصّلاة والسّلام بإبانة قدح الشّرب عن الفمّ أثناء الشّرب، قائلاً لذلك الرّجل الذي كان يسأله "فأبن القدح عن فيك"[4]، وذلك لأنّ الفمّ

---

(1) الإسلام والحفاظ على البيئة، ص2 11.

(2) المصدر نفسه، ص124.

(3) رواه الرّبيع.

(4) تقدّم تخريجه.

يخزّن عدداً هائلاً من البكتيريا التي لو انفصلت عن الفمّ في ذلك النّفخ لأصبحت ملوّثة للشّراب والطّعام وبالتّالي تكون ضارّة بالصّحّة.

ونظراً لحرص الإسلام على تناول الغذاء الصّحيّ السّليم فقد أمرنا الله بالأكل الطّيّب الحلال لأنّه تتوفّر فيه الدّواعي الصّحيّة، فالله تعالى يأمرنا في كتابه الكريم بقوله: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا] [المؤمنون: 51] فهو أمرٌ من الله لأنبيائه ورسله وأمرٌ للمؤمنين من عباده، فيقول Y: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ] [البقرة: 172].

ولا شكّ أنّ الطّيّب من الطّعام هو الغذاء الصّحيّ السّليم الذي لم يتأثّر بالفساد أو التّلوّث.

لذلك نهى الله تعالى عن بعض الأطعمة، نظراً لكونها ملوّثة أو مظنّة للتّلوّث، حيث يقول الله Y: [إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ] [البقرة: 173]، وقوله [حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ] [المائدة: 3].

وقد ذكر العلماء العلل من تحريم المذكورات، كما أكّد ذلك الطّبّ في عصرنا الحاضر.

قال بعض العلماء: فكل ما أحل الله تعالى من المأكل فهو طيّب نافع في البدن والدّين، وكلّ ما حرمه فهو خبيث ضار في البدن والدّين[1].

ورسولنا الكريم سيّدنا محمّد ρ أوضح ذلك أيّما توضيح في حديث أبي هريرة بقوله: «يا أيّها النّاس إنّ الله طيّب لا يقبل إلّا طيّباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ] [المؤمنون: 51]، وقال: [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ...]

(1) الإسلام والحفاظ على البيئة، ص134.

[البقرة: 172]. ثمّ ذكر «الرّجل يطيل السّفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السّماء يا ربّ يا ربّ ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يُسْتَجاب له»[1].

كما شنّ الحرب على الطّعام الفاسد، فقد كان النّبيّ عليه أفضل الصّلاة والسّلام يذهب بنفسه إلى السّوق ليتفقّد الأطعمة ويلاحظها، حيث ذهب ذات يوم إلى السّوق فوجد عند تاجر من التّجّار طعاماً مبلولًا وقد وضعه أسفل الطّعام اليابس، فشدّد عليه الصّلاة والسّلام النّكير على هذا العمل الغاش قائلاً «من غشّنا فليس منّا»[2].

وذلك لأمرين:

الأوّل منهما: أنّ الطّعام المبلول يزيد وزنه ثقلاً وهذا غش.

ثانيهما: أنّ الطّعام المبلول المغطّى يكون مصيره التعفّن الّذي يؤدّي إلى فساد الطّعام وتلوّثه.

لذلك كانت الأسواق إسلاميّاً تحفّ بالرّقابة المشدّدة من قبل أولي الأمر حتّى لا يقع فيها الغشّ لا سيّما في الأطعمة لأنّها يسرع إليها الفساد لا سيّما بعض الأنواع منها.

وقد أوردت كتب الحسبة ما على المحتسب في مراقبة السّوق فقد جاء أنّ على المحتسب:

أن يتفقّد الطبّاخين بالغدو والعشي ليكون الطّعام نظيفاً وأن يراقب الشّرّابين ليكون الماء نظيفاً وأدواته نظيفة، وأن يتفقّد اللّبّائين في غسل الملابس والأواني كما عليه أن يراقب الجزّارين والحيوانات المهيّأة للذّبح وصحّتها والحفاظ على اللّحوم، كما أنّه يراقب ويتفقّد الهرّاسين وكذلك القلّائين أي الّذين

---

(1) رواه مسلم.

(2) أخرجه الرّبيع والجماعة.

يقلون السّمك، وأيضاً على المحتسب أن يراقب أصحاب المهن في نظافة أوانيهم وأطباقهم وقدورهم وقفافهم وسلالهم.

وكذلك عليه أن يتفقّد البقّالين وبائعي الخضار، ولا يكون الفلّاحون بعيداً عن مراقبته[1].

(1) السّامرائي، الحفاظ على البيئة، ص258.

التّجربة العُمانيّة في الحفاظ على البيئة:

تعتبر سلطنة عُمان من أوائل الدّول أو في مقدّمتها في الاهتمام بالبيئة والحفاظ عليها عبر العديد من الوسائل والأُطر الإداريّة والفنّيّة والقانونيّة.

ويتجلّى ذلك ويبرز في ما يلي:

أولاً: كلمات جلالة السّلطان:

"إنّ بلدنا ولله الحمد ينعم بموارد طبيعيّة تمكّننا من بناء قوّتنا الوطنيّة وتوفّر لنا أيضاً فوائد ماديّة كبيرة سينعم بها شعبنا. ونحن عندما ننظر حولنا نرى النّعم التي أسبغها الله علينا وعلى بلدنا الحبيب وفيرة، لكن ينبغي علينا أن نضع نصب أعيننا دائماً وجوب المحافظة عليها بتكريس أنفسنا دائماً لخدمة عُمان وأبنائها وخدمة أسرتنا العربيّة وإسعاد البشريّة جمعاء".

قابوس بن سعيد

18 نوفمبر 1977م

"وانطلاقاً من اهتمامنا الكبير بحماية البيئة الطّبيعيّة ومع كلّ ما حققناه من خطوات مهمّة في هذا المجال نالت بها عُمان مكانة طيّبة بين الدّول المهتمّة لحماية البيئة، فإنّه يجب بذل المزيد من الجهد ومراعاة الاعتبارات الخاصّة بحماية البيئة عند تخطيط وتنفيذ المشاريع الإنمائيّة والمضي قُدُماً في تطوير الصّلات القائمة من المنظّمات الإقليميّة الدّوليّة المعنيّة فضلاً عن قيام كلّ مواطن بواجبه لما لذلك من أهمّيّة كبيرة لحماية مواردنا الطّبيعيّة والصّحّة العامّة من أيّة تأثيرات ضارّة وللمحافظة على الطّبيعة الجميلة المتميّزة التي وهبها الله لعُماننا الحبيبة".

قابوس بن سعيد

18 نوفمبر 1985م

"ونظراً لما نوليه من اهتمام خاصّ للمحافظة على البيئة وحمايتها من أضرار التّلوّث فإنّ مشاركتكم في هذا المضمار بجهد بارز سوف يكون له أثره المتميّز وتقديره الخاصّ. وصون البيئة والحرص على نقائها ونظافتها أمر حيويّ جدير بأن يحظى بما هو أهل له من عناية ورعاية".

قابوس بن سعيد

21 ديسمبر 1991م

"وفي مجال البيئة نؤكّد على أهمّيّة التّوعية بقضايا البيئة ولليونسكو دور أساسي عليها أن تضطلع به من أجل تعبئة التّضامن الدّوليّ لتخفيف حدّة الأضرار النّاشئة عن المخاطر الطّبيعيّة. ويسعدنا أن تكون هذه المنظّمة راعية للجائزة التي خصّصناها لحماية البيئة الدّوليّة التي ستسلّم هذا العام للمرّة الثّامنة والتي تمنح لمكافأة الإسهامات البارزة التي يقدّمها أفراد أو مجموعات من الأفراد أو مؤسّسات أو معاهد أو منظّمات من مختلف دول العالم في مجال إدارة البيئة وصونها".

قابوس بن سعيد

4 أكتوبر 2005م

ثانياً: تمّ إنشاء مكتب لحماية البيئة تابع لديوان البلاط السّلطاني في عام 1974م، ومن أعماله الإشراف على مشروع المها العربيّة في منطقة "جدّة الحراسيس" في صحراء عُمان.

ثالثاً: إنشاء مجلس حماية البيئة ومكافحة التّلوّث عام 1979م الّذي عدّل اسمه إلى مجلس حماية البيئة وموارد المياه 1985م.

رابعاً: إنشاء وزارة البيئة عام 1984م الّتي تمثّلت اختصاصاتها في تنفيذ الخطّة الوطنيّة لحماية البيئة ومكافحة التّلوّث، وإصدار القرارات واللّوائح والأنظمة لذلك، واسمها الحالي وزاة البيئة والشّؤون المناخيّة.

خامساً: قانون حماية البيئة ومكافحة التّلوّث الصّادر بالمرسوم السّلطاني 2001/114.

سادساً: جائزة السّلطان قابوس لحماية البيئة، وقد تبرّع بها جلالته أثناء زيارته لمقرّ اليونسكو عام 1980م، والجائزة تمنح للأفراد والمنظّمات والمؤسّسات الحكوميّة وغير الحكوميّة التي تقوم بجهود مميّزة في مجال العمل البيئي والمحافظة على البيئة ومواردها الطّبيعيّة.

سابعاً: الانضمام إلى الاتّفاقيّات الدّوليّة المتعلّقة بحماية البيئة وطبقة الأوزون.

ثامناً: وضع الخطط والبرامج الوطنيّة كالحفاظ على البيئة من التّصحّر والتّلوّث.

وهنالك العديد والكثير من النّشاطات والفعاليّات سواء كانت على المستوى الوطني أو بالتّعاون مع المنظّمات الدّوليّة[1].

---

(1) هذا الموضوع كلّه مأخوذ من كتاب (البيئة العُمانية في ثلاثة عقود) إصدار وزارة البيئة والشّؤون المناخيّة، سلطنة عُمان.

الخاتمة:

وهكذا تبيّن لنا ممّا مرّ ذكره، أنّ البيئة المكانيّة هي الحياة، لأنها من أسباب الحياة صحّة وغذاء ونباتاً وماءً وهواءً، وبدون هذه الأشياء لا يمكن أو لا يتصوّر أن تكون هناك حياة للإنسان والكائنات الأخرى التي تقتسم الحياة مع هذا الكائن الإنساني على هذا الكوكب (الأرض).

لأنّ البيئة المكانيّة هي المكان أو المآب الذي يؤوب إليه الإنسان، ويسكنه، والبيئة بمعناها العامّ ومفهومها الواسع هي الوسط الذي يعيش فيه الإنسان تفاعلاً وأخذاً أو عطاءً وبكل تفاعلاته ونشاطاته الماديّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وغيرها، على ظهر هذه البسيطة [هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ] [الملك: 15].

ونظراً لما تتعرّض له البيئة في هذا العصر من تحدّيات كبيرة نتيجة العمل الجائر للإنسان تجاه بيئته، وذلك لما يشهده العالم من تطوّرات صناعيّة واقتصاديّة، الأمر الذي جعل الإنسان غير مبال وغير مفكّر بما سيؤول إليه تصرّفه ذلك من وبال شديد وكوارث مدمّرة، نتيجتها - ولاشكّ - نهاية الإنسان نفسه.

غير أنّ المجتمع الدّوليّ بدأ يشعر بخطورة الوضع مؤخّراً، لذلك نراه يولي موضوع حماية البيئة اهتماماً لا بأس به، وإن كانت بعض الدّول الكبيرة التي تتحمّل النّصيب الأكبر من تلوّث البيئة نتيجة ضخامة صناعتها، لم توقّع ولم تلتزم بما توصّل إليه المجتمع الدّولي من اتّفاقيّات وبروتوكولات.

على أنّ الخطاب الإسلامي المتمثّل في القرآن والسّنّة والإجماع والرّأي الاستدلالي، قد اهتمّ بموضوع البيئة اهتماماً بالغاً، موجّهاً الإنسان إلى التّعامل الحسن مع البيئة لحمايتها والحفاظ عليها من التّلوّث والفساد، ومشدّداً النّكير على من يفعل تلك الأفعال المضرّة بالبيئة وتؤدّي إلى الضّرر البيئي والكوارث

البيئيّة، كما أننا لم نهمل التّشريعات القانونيّة في هذا الشّأن باعتبارها داخلة في الخطاب الإسلامي من حيث الجملة والعموم.

ومن المعلوم علماً، أنّ العناصر الرّئيسة المكوّنة للبيئة الطّبيعيّة هي أربعة: الماء والهواء والتّربة والغذاء فبالحفاظ عليها من الفساد والتّلوّث، تكون المحافظة على البيئة الّتي من شأنها الحفاظ على الحياة لكي يعيش النّاس حياة طيّبة مملوءة سعادة وبهجة، في وسط اجتماعي طيّب [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] [إبراهيم:24-25].

والحياة الطّيّبة نعمة كبرى من الله للإنسان، وهي النّعمة الظّاهرة [كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ] [سبأ: 15].

على أنّ الحياة الطّيّبة السّعيدة هي تلك الحياة الموصولة بالله تعالى عقيدة وعبادة وحمداً وشكراً، وإلّا سيكون المصير كمصير تلك القرية التي ضربها الله مثلاً للكفر بالنّعم: [وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ] [النّحل: 112].

نسأل الله أن يجعلنا من الشّاكرين والذّاكرين ويهدينا الصّراط المستقيم، وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

أحمد بن سعود السيابي